موج الجمر

مهدي بندق

وليل مثل موجِ الجمرِ لا يُعطي
سوى الأشلاءِ تهوي في فمِ النَّفطِ
له بالشطِّ «عنقا مغربٍ».
وكهانةٌ مسنونةُ الإفتاءِ تمرقُ في
السفائنِ لو تجيء بـأشـرعِ القِسْطِ
وغِسْلينٌ على رملِ المذلَّةِ للظماءِ يمينهم
ومن اليسارِ وفي مدى الوَسْطِ
وقُطعانٌ تُعار إلى مضاربِ «مَنْشَمِ»
وثمّ «مَنَاةُ» ترمي السهمَ لا تخطي
ظلامٌ شاهقٌ يندالحُ في شريانِ هذا اللَّيلِ من
شمراخِه للقاعْ
فأين الشمسُ تخرجُ من سريرِ العشبِ عاريةَ الذراعْ
يدغدغُ شعرُها البريُّ جفنيْ بعلِها البحرِ
وتنهضُ كي تعدّ شطائرَ الأطفالِ باسمةً
تشدُّ قميصَها الغزلانُ عجلىٰ والعصافيرُ
فأين الآن مطلعها المندَّى بارتعاشاتِ الأريجِ
تقولُ نَعَامةٌ عوراءُ عاويةً: قتلناها
وألقينا بجثّتِها علىٰ جسرِ الخليـجِ

* * *

بوادٍ غير ذي زرعٍ رماني
وقال لمن على فمِه مناهلُ من مَسيلِ دمي
ـ ليخ لخا ڤمبيت أڤيخا
وأنكرني لأنَّ الغيظَ أفرخَ في إهابي بيضةَ الفحمِ
فأعطى الكنز للسفهاءِ من قومي وأقصاني
وجاء الوَهْمُ ما آستنصرتُ ما قال الفوارسُ
ويك فلتقمِ
وقِيْلَ الحربُ تبديدٌ وقِيْلَ السِّلْمُ تجديدٌ وقِيْلَ
الكنزُ يُقتسمُ
فغازيهم له التقطيعُ والتجميعُ والتصنيعُ والقممُ
[وفيه الخصمُ والحكمُ]
لهم: قصرٌ ومقتصرٌ وفي الشهواتِ منحصرٌ
ولا مستقبل لهمو
ولي من أمّيَ الشمطاءِ ركلتُها تدحرجني على التبَّهْ
وهل ترجو حمايتها بأبطالٍ من الفقراء
وقد صارت مدافعُها تلالَ العملةِ الصعبَهْ
وصارت عبلةُ البيداءِ تركبُ ناطحاتِ الرِّيحِ والأضواء
تردُّ الغزو للأعداء [تنصف منهمو ضُبَّهْ]
فحصنُ العطر تفتحه وتفتح قلعةَ الأزياء
وتأتينا بأسرى الحَلْيِ تذهلنا بأشكالٍ وألوانِ
فكيف إذا أتيت لها بحُمْرِ النُوقِ ترضاها
وترضاني؟!

* * *

أنا خاصمتُ أعمامي سيوفَ الدولةِ الصيدا
وبعتُ لتاجرِ الأعلافِ مكتبتي
بكيلٍ من شعيرِ الاتّفاق مع الجحاشِ
ومالي لا أسيرُ بموكبِ الجمعِ

فماذا يملكُ الشعراءُ للأوطانِ إن خانت
سوى وأدِ القصائدِ في ثرى الدَّمعِ
وما شأني بأشباحٍ تناشدني شراب
الثأرِ حولَ بحيرةِ النومِ
وليس لديّ من كبشٍ لأذبحَهُ.
وهل أولمتُ طولَ العمرِ غيرَ مجمَّدِ اللحمِ
فما شأني بجاريةٍ سباها الرومُ لم تسمع
بمأمونٍ ومعتصمِ ؟!
مفاتنها تُبَاعُ الآن بالتقسيطِ في رمضانَ أو
في الأشهرِ الحُرُمِ
هو الدولارُ يسطعُ في غصونِ البنكِ
ويهربُ من بَنَانِ الشَّعْبِ ذي الضنكِ
فما شأنُ الفتى العربيِّ بالهيجاءْ
وليس لديه في بوَّانَ أو عمَّان أو وهران عنجوجُ
هو المركوبُ في الباساتِ ما بين الجنادبِ والظرابينِ
غريب الوجهَ متَّهماً بلمسِ العانسِ الرسحاءْ
ومصلوباً بقسمِ الشامِ أو قسمِ الفراعينِ

* * *

على الأطفالِ أطلقنا رصاصَ الجوعِ مؤتمراً فمؤتمرا
وأغلقنا حدودَ السمعِ دون مواجعِ الأحباب
وقمنا نقطعُ الأرحامَ في أعيادِنا الكبرى
وقلنا ما لنا قربى سوى أسيادنا الأغراب
فأبدلنا سِلَالَ الوَرْدِ بالرَّجْراجةِ الوِرْدِ
على أنِّي أشاهد سوأة الرهطِ التي
كان المساسُ بظلِّها يُرْدِي
يعرّيها الرعاعُ ويضحكون،
ودمعي . . لا يكفكفُهُ . .

سوى لحدي

. . . . . .

. . . . . .

سلامٌ من ضفافِ النيلِ في العسرِ
إلى بغداد حتَّى مطلع الفجرِ

القاهرة